Research in Contemporary Literature **Volume 15, Issue 57**
Islamic Azad University in Jiroft **June 2023**
https://cls.jiroft.iau.ir/ **pp. 13-37**

10.30495/CLS.2022.1967536.1374

Research Article

The Aesthetics of Employing the Galaxy in Ancient Arabic Poetry Until the End of the Abbasid Era

Ahmad Karami[1*], Syed Mahmoud Mirzai Al-Husseini[2], Ali Nazari[3]

Abstract

The sky, with its enchanting beauty and the astronomical phenomena that surrounds it, was and still is a source of inspiration in describing, comparing, similarizing, metaphorizing, and creating wonderful artistic images. Their poetic language and highlighting their ability in it, and they may deprive it of the subtlety of its beauty, the secret of its beauty, to add to it artistic aesthetic values. The galaxy was one of the tributaries that occupy a part of the poetry of Arab poets for purposes such as praise, description, pride and pride, which they use in their poetic discourse, especially in their analogies. They derive their colour, height, shape, appearance and the lights of the stars they possess to depict the wonderful meanings expressing their feelings, emotions and whims. The contents and images derived from them have evolved over the ages. This study, in summary, attempts to extrapolate the poetic verses in the galaxy from ancient poetry until the end of the Abbasid era and to study the aesthetics of their artistic use.

Keywords: Aesthetics, Alaxy, Old, Poetry, Abbasid

How to Cite:
Karami A, Mirzai Al-Husseini SM, Nazari A., The Aesthetics of Employing the Galaxy in Ancient Arabic Poetry Until the End of the Abbasid Era, Journal of Research in Contemporary Literature, 2023;15(57):13-37.

1. Assistant Professor and Faculty Member, Payam Noor University, Lorestan, Lorestan, Iran
2. Lorestan University, Lorestan, Iran
3. Professor in the Department of Arabic Language and Literature at the College of Arts and Humanities at Lorestan University, Lorestan, Iran

Correspondence Author: Ahmad Karami **Email:** karamipnp@pnu.ac.ir

Receive Date: 19.09.2023 **Accept Date:** 26.09.2023

فصلنامه علمی دراسات الادب المعاصر
دانشگاه آزاد اسلامی واحد جیرفت
https://cls.jiroft.iau.ir/

دوره ۱۵، شماره ۵۷
بهار ۱۴۰۲
صص: ۳۷-۱۳

10.30495/CLS.2022.1967536.1374

مقاله پژوهشی

زیبایی شناسی بکارگیری کهکشان راه شیری در شعر عربی قدیم تا پایان دوره عباسیان

احمد کرمی[1]*، سید محمود میرزائی الحسینی[2]، علی نظری[3]

چکیده

از دیرباز، آسمان با زیبایی‌های مسحورکننده، و پدیده های نجومی خود، منبعی الهام بخش برای توصیف، مقایسه، تشبیه، استعاره و خلق تصاویر هنری زیبا بوده و می باشد.
اجرام فلکی، از جمله کهکشان راه شیری، سرچشمه هایی می باشند که شاعران، برای بیان احساسات، عواطف درونی ، غنی سازی زبان شعری، و برجسته سازی توانایی خود دربکار گیری آنها، از آن بهره جسته اند.
چه بسا آنان، از ظرافت احساسات خود، خلعتی زیبا بر پدیده های آسمانی افکنده، تا ارزش های زیبایی هنری برای آنها بیافرینند. کهکشان راه شیری، یکی از این منابع است که بخش قابل توجهی از اشعار شاعران عرب را در موضوعاتی چون مدح، فخر، بالیدن به خود وقبیله، و وصف ،به خود اختصاص داده است. شاعران عرب، کهکشان را در اشعار خود به ویژه در تشبیهات به کار برده ، از رنگ، شکل، اندازه، ارتفاع و نور ستارگان حوزه آن، برای به تصویر کشیدن معانی بدیع. ابراز احساسات ،عواطف و خواهش های درونی خود بهره جسته اند. مفاهیم و تصاویری که با استفاده از کهکشان راه شیری خلق شده است، در گذر زمان، همپای با تحولات اجتماعی وافکار شاعران، دستخوش تحولات گردیده است.
این پژوهش کوتاه در صدد است ـ تا حد امکان ـ ابیاتی را که در باره کهکشان راه شیری در شعر قدیم عربی تا پایان عصر عباسی سروده شده، استقراء نموده، باروش توصیفی تحلیلی، زیبایی های به کارگیری هنری وتحولات معنایی وتصویری آنها را در بازه زمانی مشخص شده پژوهش، بررسی نمایید.

۱. استادیار و عضو هیأت علمی، دانشگاه پیام نور، لرستان، لرستان، ایران
۲. دانشگاه لرستان، لرستان، ایران
۳. استاد گروه زبان و ادبیات عرب، دانشکده هنر و علوم انسانی دانشگاه لرستان، لرستان، ایران.

نویسنده مسئول: احمد کرمی **ایمیل:** karamipnp@pnu.ac.ir

تاریخ دریافت: ۱۴۰۱/۰۶/۲۸ **تاریخ پذیرش: ۱۴۰۱/۰۷/۰۴**

واژگان کلیدی: زیبایی شناسی، کهکشان، شعر، قدیم، عباسی

ارجاع: کرمی احمد، میرزائی الحسینی سیدمحمود، نظری علی، زیبایی شناسی بکارگیری کهکشان راه شیری در شعر عربی قدیم تا پایان دوره عباسیان، دراسات ادب معاصر، دوره ۱۵، شماره ۵۷، بهار ۱۴۰۲، صفحات ۳۷-۱۳.

دراسات الأدب المعاصر
جامعة آزاد الإسلامية فی جیرفت
https://cls.jiroft.iau.ir/

السنة ١٥ ، العدد ٥٧
ربيع ١٤٤٤
صص: ٣٧ ـ ١٣

10.30495/CLS.2022.1967536.1374

مقاله پژوهشی

جماليات توظيف المجرة في الشعر العربي القديم حتى نهاية العصر العباسي

احمد كرمی[١]*،سيد محمود ميرزائي الحسيني[٢]،علی نظری[٣]

الملخّص

كانت ولاتزال السَّماء بسحر جمالها وما تكتنفه من ظواهر فلكية مصدر إلهام في الوصف والمقارنة والتشبيه و الاستعارة وخلق الصور الفنية البديعة ، وكانت الأجرام الفلكية بما فيها المجرة روافد يتخذها الشعراء للتعبير عن معتلجات صدورهم وتصويرما كان يجيش في أعماقهم من مشاعر وأحاسيس وعواطف ، وكذلک يستخدمونها في إغناء لغتهم الشعرية وإبراز مقدرتهم فيها ، وقد يخلعون عليها من رهافة الحس سرَّ جمالها ليضفوا إليها قيماً جمالية فنية. فكانت المجرة من الروافد التي تشغلُ قسطاً من أشعارالشعراء العرب في أغراضٍ كالمدح والوصف والفخر والاعتزاز يستخدمونها في الخطاب الشّعري خاصةً في تشبيهاتم ، مستمدين لونها و علوّها وشكلها وهيئتها وأنوار نجوم حوزتها لتصوير المعاني البديعة معبّرين بها عن مشاعرهم وعواطفهم وأهوائهم.وقد تطورت المضامين والصور المستمدة منها على مرّالعصور مواكبةً تطور الحياة الاجتماعية وتوسّع مدى عقلية الشعراء.

فهذا البحث بإيجازه يتناول .ما تيسّر له .استقراء الأبيات الشعرية في المجرة في الشعر القديم حتى نهاية العصر العباسي ودراسة جمالية توظيفها فنياً ، معتمداً على المنهج الوصفي التحليلي ، متمثلاً في القيام بالبحث عن الموضوع الرئيس الذي يشتمل على الأبيات التي نظمها الشّعراء مستمدين فيها بالمجرة ، ثمّ يحاول دراسةَ فحوى الأبيات ومضامينها والكشف عن أيّ تطور محتمل في مضامين و صور وصف المجرة والمعاني المستخدمة فيها في الفترة المحدّدة للبحث.

الكلمات الدليليه: جماليات ، المجرة ، الشعر ،القديم ، العباسي

١. أستاذ معيد وعضو الهيئة التدريسية ، بجامعة بيام نور لرستان ، لرستان ، إيران
٢. جامعة لرستان ، لرستان ، ايران
٣. أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها في كلية الآداب والعلوم الانسانية في جامعة لرستان ، لرستان ، ايران

المؤلف المختص: أحمد كرمي
البريد الالكتروني: karamipnp@pnu.ac.ir

تاريخ الوصول: ١٤٤٤/٠٢/٢٢
تاريخ القبول: ١٤٤٤/٠٢/٢٩

المقدمة

كانت زهر النجوم وبيض الكواكب والأبراج والأفلاک السّماوية محطّ رحال أنظار الشعراء و مبعثاً لكوامن الإعجاب والدهشة بها و موضع إثارةٍ لِهواجس الشعراء لِما فيها من جمال يشد الأنظار و سحرٍيفتن القلوب وروعة تشحذ قرائحهم الشعرية للتغني بها. وإذا ابتعدنا قليلا إلى خارج نطاق النجوم المحيطة الذي تقع فيه الأبراج والمجموعات النجمية ، فسيخطر على بالنا مجرتنا التي تكتنف كل ما نراه من نجوم والتي يظهر لنا مستواها عندما تكون السماء صافية ليلاً كنطاق أبيض على شكل سحابة ممتدة عبر السَّماء تُسمَّى دربَ التبانة(باصرة حسن بن محمد(٢٠٠٧): ٣٢) وهي من الوضوح بحيث لا يمكن أن تلتبس على أحد. فكانت المجرة من العصر الجاهلي إلى يومنا منهلاً يغترف منه الشعراء في أغراضٍ كالمدح والوصف والفخر والاعتزاز بالنفس وبالقبيلة ، و يمتحون منها موادهم ويدعمونها بالرؤى الجمالية لخلق الصور البديعية. وهم في ذلک يستمدون لونها و شكلها وعلوّ مكانها وامتدادها وأنوار نجومها. وبناءً على ماسبَقَ من الأغراض ، نُلقي نظرةً عابرةً على الأغراض التي أُستُخدمت المجرة فيها تمهيداً لتناوُلِ توظيف المجرة بالدراسة في صلب البحث بعد استعراض خلفية الدّراسة وأسئلتها:

خلفية البحث

قد عالجت بعض المصادر القديمة موضوع المجرة من الناحية العلمية ومنها تناولتها من الناحية الأدبية وأفردت لها قسماًوإن كان موجزاً . على هذا الأساس نذكر بعض المصادر التي وردت فيه المجرة كالآتي:

قد وردت المجرة في «نهاية الأرب في فنون الأدب » لشهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ) فيما تعلق بوصف الكواكب وتشبيهاتها.

وقد ذكرها أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي (المتوفى: ٦٥١هـ) في «سرور النفس بمدارك الحواس الخمس» وأورد بعض أبيات الشعراء فيها.

و أفرد لها أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (المتوفى: ٤٢١هـ) «في الأزمنة والأمكنة»

قِسماً تحت عنوان :في بيان أمر المجرّة وشرح بعض أحوالها.

و قد خصّ لها عليُ بن ظافر الأزدي المصري (المتوفى: ٦١٣هـ) قسماً في «غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات» وسمّاه تشبيه المجرة ذكر فيه أبياتاً من الشعراء فيها ذكرالمجرة

و كذلک خصّ لها محمد بن مكرم بن على ، أبو الفضل ، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: ٧١١هـ) في «نثار الأزهار في الليل والنهار» قسماً في بضعة أبيات وعرّفها ضمن سائر النجوم.

وأمّا عن المجرة في الدراسات الحديثة فقد عالجها علمياًبعض الدراسات منها:

الإشارات العلمية في القرآن: القرآن وعالم المجرات ،بقية الله ، آذار ١٩٩٦ العدد ٥٤. لكنه من الناحية الأدبية لم يُفرد لها الباحثون باباً خاصاً في نتاجاتهم أو دراسة خاصة بها.

أسئلة البحث

و عن أسئلة البحث تحاول الدراسة على إيجازها الإجابة على السؤالين الأساسيين التاليين:

١. ماهي الأغراض التى استخدمت المجرة فيها ؟

٢. كيف كان تطور المضامين والصور التي رسمها الشعراء مستمدين من المجرة ؟

أمّا عن الأغراض التي سلفت الإشارة إليها والتي استمدّ فيها الشعراءُ المحرةَ فقد وردت المجرةُ في أشعار بعض الشّعراء في العصر الجاهلى في مقام الوصف مستخدَماً لونُها الأبيض كما جاء في شعرزهير بن أبي سُلمى حيث وصَفَ طريقاً عند مَسراه وشبّهها بالمجرة:

عَلى لاحِبٍ مِثلِ المَجَرَّةِ خِلتَهُ إذا ما عَلا نَشزاً مِنَ الأَرضِ مُهرَقُ

(ديوان زهير بن أبي سلمى(١٩٩٨): ٦٨)

و كذلک على لسان الأسفع الأرحبي في وصف لون الرمح :

وَكُلِّ رُدَينِيٍّ أَصَمَّ عَنَطنَطٍ يَلوحُ كَنَجمٍ في المَجَرَّةِ زاهِرِ

(محمد حسين(٢٠٠٤) شعر وشعراء اليمن: ٤٢٧)

وفي العصر المخضرمين استخدم تميم بن أبي بن مقبل المجرة في الوصف مشيراً إلى استطالتها في الصيف عند اشتداد الحر:

مُسَامِيَةٌ خَوْصَاءُ ذَاتُ مَخِيلَةٍ إِذَا كَانَ قَيْدُومُ المَجَرَّةِ أَقْوَدَا

(ديوان إبن مقبل(١٩٩٥)،: ٦٤)

وقد جاءت في شعر جران العود النميريّ تدليلاً لبُعد الأمانيّ وتعسر نيلها وتعذُّر الوصول إليها ،إذ وصف المجرة بالبعد وتعذُّرالوصول إليها:

أَلا لَيتَنا طارَت عُقابٌ بِنا مَعاً لَها سَبَبٌ عِندَ المَجَرَّةِ أَو وَكرُ

(ديوان جران العود النميري(١٩٨٢): ٨٣)

وفي العصر الإسلامى استخدمت للفخر والاعتزاز كقول الفرزدق:

بَنى لي بِهِ الشَيخانِ مِن آلِ دارِمٍ بِناءً يُرى عِندَ المَجَرَّةِ عالِيا

(شرح ديوان الفرزدق(١٩٨٣)، ٢: ٦٤٤)

كما دخلت في سياق الحكمة و الإقناع وإقامة الحجّة البرهانيّة في العصر الإسلامي كما جاء في شعربعض الخوارج:

تَجري المَجَرَّةُ وَالنَسرانِ عَن قَدَرٍ وَالشَمسُ وَالقَمَرُ الساري بِمِقدارِ

(إحسان عباس(١٩٧٤): ٤١)

وفي العصور التابعة للعصرالأموي زاد الشّعراءُ على الأغراض السابقة و أدخلوا فيها معاني و آفاقاً جديدة في حين لم يَدَعوا جانباً الأغراض والمعاني القديمة ، ومن ذلک ما ورد في شعر عروة بن أذينة في رعي النجوم:

أُراقِبُ في المَجَرَّةِ كُلَّ نَجمٍ تَعَرَّضَ لِلمَجَرَةِ كَيفَ يَجري

(شعر عروة بن أذينة(١٩٨١):٣٢٥)

وقد استخدمها بشار في التغزل في استعارة مكنية جميلة:

وَلَقَد أَزورُ عَلى الهَوى وَيَزورُني قَمَرُ المَجَرَّةِ في مَجاسِدِ كاعِبِ

(ديوان بشار بن برد(٢٠٠٧)، ج ١: ١٩٣)

و وظّفها إبن المعتز في الفخر وأبدع في المعنى لكنّه بالغ فيه أقصى مبالغة:

سارٍ بِلَحظَتِهِ إذا اِشتَبَهَ الهُدى بَينَ المَجَرَّةِ وَالسِماكِ الأَعزَلِ

(ديوان أشعار الأمير أبي العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله(لا تا): ٢٨٣)

وإبن نباتة السعدي يؤنسن عجاجة الحرب المثارة عند اشتدادها في سوح المعارک في استعارة مكنية وتحسب المجرة أرضاً تطؤها العجاجة متبخترة وكأنّها تسحب ذيلها فوقها وذلک في التنويه والإشادة بذكر بطولات قومه في الحرب وترفيع شأنه:

واستودعوا كبدَ السماءِ عَجَاجَةً فوقَ المجرةِ ذَيلها مَسْحُوْبُ

(ديوان إبن نباتة السعدي(لاتا)،٢: ٢١٢)

والسري الرّفاء يستخدمها للتدليل على الوقت:

إذا المَجَرَّةُ مالَت بعدَ تعديلِ وجاذَبَ الليلُ حبلاً غيرَ مَوصولِ

(ديوان السري الرّفاء(١٩٩٦): ٣٦٣)

واستخدمها الشريف الرضي في الوصف حيث شبّه السماء في الليل بلمة رأس كثير الشَّعر والمجرةَ بمفرقه المكشوف قائلاً:

فَكَأَنَّما الجَرباءُ لِمَّةُ أَحلَسٍ وَلَها المَجَرَّةُ مَفرِقٌ لَم يُستَرِ

(ديوان الشريف الرضي(١٩٩٩)،١: ٥٠١)

وإمّا في شعر الصاحب بن عباد فقد جاءت المجرة في سياق المدح في صورة استعارية تجسيدية جميلة بإضفاء لمسة إنسانية عليها حيث صوّر مدينة إصفهان بُعيد قيام الممدوح بنصرتها فكأنّها تتبختر في مشيتها ساحبةً ذيل رادءها على سمک المجرة :

فَلَمّا تَشَكَّت أَصفَهان حَنينَها　　اِلَيكَ وَأَنَّت أَنَّةَ المُتَـأَلِّمِ
نَهَضتَ لها من كبرهمّتِكَ نَهضَةً　　وَقُلتَ اِطمَئني انَّ عندكِ مَوسِمي
لَجَرَّت عَلى سُمك المَجَرَّة ذَيلَها　　وَتاهَت عَلى أَرضِ الحَطيم وَزَمزَم

(ديوان الصاحب بن عباد(١٩٩٥): ٢٧٨)

وكذلک وظّفها بديع الزمان الهمذاني في سياق المدح حيث شبّه المجرة بطوق قلادة في نحر الممدوح:

يا ملء عِطف الليالي أنت من مِلك　　وملء عين المعالي منظراً أنقا
صغ المجرة طوقاً والسها شنفاً　　لما ركضت فقد أعيا وقد سبقا

(ديوان بديع الزمان الهمذاني(٢٠٠٢): ١١٢)

وقد عمد ناصح الدين الأرجاني إلى التلاعب اللفظي إذ اتخذ من لفظة المجرة "مجرّاً " لذيل رداء الممدوح وذلک في سياق المدح إيضاً:

كأنّ المجرّةَ وسْطَ السّماء　　مَجَرٌّ لذَيْلكَ فوقَ النُّجوم

(ناصح الدين الأرجاني(١٩٧٩)، ٣: ١٣٢٠)

وله أيضاً في المجرة في مقام المدح ، لكنّه أفرغه في قالب صورة تجسيمية بديعة حيث جسّم العلى وهو مفهوم مجرد وخيّل له الذيل:

ليس المَجرّةُ أنجُماً في أفقها　　لكنّ ذيلَ عُلاه عالي المسْحب

(ناصح الدين الأرجاني(١٩٧٩)، ٣: ٢٠٣)

ويشّبهُ فتيان الشاغوري بساتين دمشق بالسماء وأوديتها بالمجرة والقصور المبنية على شواطئ الأنهر بنجوم المجرة و شبّه المراكب في الماء بالنجوم السارية:

دِمَشق إن جِئتَها مِن كُلِّ ناحِيَةٍ　　عَلى اليَفاع الَّذي تَحوي حَواشيها
حَكَت بَساتينها بَحراً واسِقُها　　فيهِ المَراكِبُ مُلقاةً مَراسيها
أَو السَماءَ وَواديها المَجرةُ وَال　　قُصورُ فيهِ نُجومٌ سارَ ساريها

(ديوان فتيان الشاغوري(لاتا): ٥٦٧)

و قد قدّم كمال الدين إبن النبيه صورة بديعة رائعة مُستحضِراً بعضَ خرافات العرب و هي:أنّ سهيلا والشعرى كانا زوجين ، فانحدر سهيل فصار يمانيا ،أي كان شمالياً ، فانحدر وصار جنوبياً ، فاتبعته الشعرى العبور ، فعبرت المجرة فسميت العبور:

يا رُبَّ لُجَّةِ لَيْلَةٍ أَبْدَى بِهـا　　صَدَفُ السَّحابِ مِنَ النُّجومِ زَواهِرَا
عَرَضَتْ فَخافَ الطَّرْفُ مِنْ غَرَقٍ بِها　　فَغَدا عَلى جِسْرِ المَجَرَّةِ عابِرَا

(ديوان إبن النبيه (١٢٩٩):٨٨)

وقد استخدم إبن المعتز المجرة ونجومها للتدليل على الدوام والبقاء في موضع الدعاء:

صلّى عليه اللهُ ما انصرَم الدُّجا وتطلَّعت وسطَ المجرّة أنجمُ

(الدر الفريد وبيت القصيد(٢٠١٥)،٢: ٤٢٣)

المَجرَّة لفظاً

المجرة مستقاة من الجذر اللغوي «مجر» وتعني الدهم الكثير(مَجَرَ) الْمِيمُ وَالْجِيمُ وَالرَّاءُ ثَلَاثُ كَلِمَاتٍ لَا تَنْقَاسُ. فَالْأُوْلَى الْمَجْرُ ، وَهُوَ الدَّهْمُ الْكَثِيرُ (ابن فارس(١٩٧٩) ٥: ٢٩٧). عسكرٌ مجرٌ: كثير(الزمخشري ، (١٩٩٨)، ٢: ١٩٤) و أَمْجَرَتِ الشاةُ فهي مُمْجِرٌ ، وهو أن يعظّم ما في بطنها من الحمل وتكون مهزولةً لا تقدر على النهوض (الجوهري(١٩٨٧)، ٢: ٨١١) وقال الضبي: المجر الثقيل الذي لا يتبين سيره من كثرته فهو مأخوذ من قولهم شاة مجر وهي التي قد أثقلت على هزالةٍ فهي لا تقوى على المشي ، يقال قد أمجرت الشاة فهي ممجر (شرح المفضليات لإبن الأنباري(١٩٣٠): ٧١٩). ومنه قيل جيشٌ مَجْرُ أي كثيرٌ جداً وقد جاء في شعر الشريف الرضي:

مَجَرُّهُ كَمَجَرِّ السَيلِ ذو لَثَقٍ مِن اِنبِعاقِ الدَمِ الجاري وَذو خَضَلِ

ديوان الشريف الرضي(١٩٩٩)، ٢: ١٢٦)

والمجرة كما قال صاحب الإفصاح: إسم لمكان فى السماء تكثر فيه النجوم حتى تبيضّ و النَسرانِ من جانبها((الصعيدي(١٤١٠هـ) ٢ ،: ٩١٢)

و قيل: المَجَرّة ؛ لأنه ليس فى السماء بُقعة أكثر عدد نجوم منها»(المصدر السابق: ٩٠٦)

وقد استعملتها العرب مرخمةً في بعض أمثالها قائلةً: سَطِي مَجَر تُرْطِبْ هَجَر ؛ يُرِيدُ تَوَسَّطِي يَا مَجَرَّةُ كَبِدَ السَّمَاءِ فإن ذَلِكَ وَقْتَ إرطاب النَّخِيلِ بِهَجَرَ(إبن منظور ، لسان العرب(١٩٩٩)،٤: ١٢٩) ومعنى المثل: إن المجرة إذا توسطت فذلك وقتُ إرطاب النخل.

ومن قد تطلق عليها وعلى السماء أيضاً "أمّ النجوم" و«أم النجوم: المجرَّة هكذا جاء في شعر ذي الرمة لأنها مجتمع النجوم»(السيوطي (١٩٩٨)، ١: ٣٩٩) وقد سمّوا المجرة بنهر المجرة لاستطالتها وبياض لونها ،فهي فى بياضها و استطالتها تشبه النهر. و منهم مَن يرى أنَّ السببَ في تسميتها بنهر المجرة يعود إلى مماثلتها أثَر المَسحَب و المَجرّ ، و لذلك يقال: نهر المَجرّة (الصعيدي(١٤١٠هـ) ٢: ٩١٢) ولها تسميات أخرى عند العرب منها: شرجُ السَّماء والمُسَنّاة(المديني الإصفهاني(١٩٨٨)، ١: ٣١٨) وشرج السماء هو مَجمعُها كَشَرَجِ القُبَّة ، و أمّ النّجوم وأمُّ الطريق و جِربة النُّجوم «قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: يُقَالُ لِلْمَجَرَّةِ جِرْبَةَ النُّجُومِ. قَالَ الشَّاعِرُ:

وَخَوَتْ جِرْبَةُ النُّجُومِ فَمَا تَشْ رَبُ أُرْوِيَّةٌ بِمَرْيِ الْجَنُوبِ

(إبن فارس(١٩٧٩) ،١: ٤٥٠)

وكذلك تسمّى باب السماء إبن معصوم ،(لاتا) ٧: ١٨٨) ودرب التبّان (أحمد رضا(١٩٥٨)، ١: ٥٠٧) و دُرَيْب التبانة (رينهارت بيتر آن دُوزِي (٢٠٠٠) ،٤: ٣١٢) والعامة تسمي نهر المجرة المعروف

بدرب التّبانة بسكة التّبانة وبعضهم يقول سكة التبّان ،ويسمونها أيضا بسلم المعْراج(معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية (٢٠٠٢)،٢: ٢٨٧) وقيل في تسميتها بسكة التبان أو درب التبّان أو درب التبّانة إنّهم شبهوها بما يسقط على الأرض من التبن المحمول على دوابّهم عند حمله إلى منازلهم ، حيث رأت العرب أن ما يسقط من التبن المحمول يظهر أثره على الأرض كأذرع ملتوية تشبه أذرع المجرة .وقد يُقال لدَرْبِ التَّبَّانةِ دُرَيبُ التَّبانَةِ (المعجم الكبير لمجمع اللغة العربية بالقاهرة (٢٠٠٠): ١٩)

وهذه المجرة تتكون من المجموعة الشمسية و الكواكب وأشهرها كوكب الارض الذي نعيش فيه وهي من أشهر المجرات التي ذكرت عبر التاريخ. وهي البياض الذي يُرى في السماء ، ومن مزاعمهم فى المجرة أنّهم زعموا أنها كواكب صغار متقاربة بعضها من بعض وأن النجوم تقاربت من المجرة فطَمَس بعضُها بعضاً وصارت كأنها سحابٌ. وهي ترى في الشتاء أول الليل في ناحية من السماء. وفي الصيف أول الليل في وسط السماء ممتدة من الشمال إلى الجنوب وبالنسبة إلينا تدور دوراً رحوياً فتراها نصف الليل ممتدة من المشرق إلى المغرب وفي آخر الليل من الجنوب إلى الشمال (الأب شيخو(١٩١٣)،٣: ٢٦٤)).

وفي كلّ ما فسّرها إبنُ فارس و رواه عن الزمخشري والجوهري وما جاء عن إبن الأنباري في تفسير لفظة المجرة فقد رُوعي فيه جهة الكمية ومعنى الكثرة ولكنّ المديني الإصبهاني(٥٨١هـ) في المجموع المغيث فقد نصَّ على امتدادها وشبّهها بالطريق الممتدّ(المديني الإصفهاني ، ١٩٨٨ ، ١: ٣١٨)و ركّز إبن معصوم في الطراز الأوّل على هيئتها وفسّر المجرة بأثر المَجَرّ(إبن معصوم ، لاتا ، ٧: ١٨٨)

وهناك مصطلحات وأمثال وتعابير اصطلاحية عن المجرة سائرة بين النّاس تدلُّ على معنى الكثرة والتداخل والتشابك فيما بين نجومها ، منها« قَولُ بَعضِهِم لمَنْ نَزَلَ بَيْنَ حَيَّيْنِ من العَرَبِ: نَزَلْتَ بَيْنَ المَجَرَّةِ والمَعَرَّةِ ، أي بَيْنَ حَيَّيْنِ عَظيمَيْنِ كَثيرَيْ العَدَدِ ، شَبَّهَهُمَا بمَجَرَّةِ السَّمَاءِ لكَثْرَةِ نُجُومِها وبالمَعَرَّةِ من السَّمَاءِ ، وَهي مَكانٌ فيها في جِهَةِ الشَّامِ تَكْثُرُ بِهِ النُّجُومُ وتَشْتَبِكُ(المصدر السابق: ١٨٨).

وقد أشار تأبّط شراً إلى تراكم نجوم المجرة وتشابكها مستخدماً مصطلح أم النجوم للمجرة:

يرى الوحشةَ الأُنسَ الأنيسَ ويهتدي بحيث اهتدت أمُّ النجوم الشوابكِ

(ديوان تأبط شراً (٢٠٠٣): ٤٥)

وقد استعملته العرب في بعض أمثالهم تعبيراً عن جمال الوجه وصباحة البشرة ، يقال«كأنَّ فُلاناً قَمَرُ المَجَرَّةِ ، إذا كانَ شَديدَ ضَوْءِ الوَجْهِ ؛ وذلكَ أَنَّ القَمَرَ إذا صارَ في المَجَرَّةِ كانَ أَشَدَّ ما يكونُ ضوءاً ، أَو هو في كَبِدِ السَّماءِ(المديني الإصفهاني(١٩٨٨) ١: ٣١٨)

المجرة اصطلاحاً

المجرة (Galaxie) هي تجمعات هائلة من النجوم (Etoile -Astre) و الكواكب (Planetes) و تسمى سديماً (Nebuleuse) عند ما يغلّفها الدخان أو الغبار الكوني. فهي مجموعة هائلة متكونة من الاجرام السماوية المنتشرة في الفضاء من الكواكب و النجوم والاقمار و الشهب و النيازك و الكويكبات و الغبار و غيرها من الاجرام السماوية.

فهي مجموعةٌ كبيرةٌ هائلة من النُّجومِ تحتوي على مليارات النجوم والكواكب والكويكبات والنيازك وتحتوي كذلك على غباركوني ومادة مظلمة وبقايا نجمية وتتخللها مجالات مغناطيسية مروعة ، المجرة

متركزةٌ حتى تَتراءى من الأرضِ كَوِشاحٍ أبْيَضَ مُمْتدّ فى السَّماء ، وهي تَجمّعٌ هائلٌ من النُّجومِ والسُّدُم والغازات والغُبارِ الكَوْنِيّ ، تُعَدُّ النجومُ فيه بالملايين أو ملايين البَلايين ، وتَتَّخِذُ أَشكالاً مختلفةً ، ويوجد فى الكونِ منها بلايين. ويُطلق اللّفظُ المُعَرّفُ عَلَمًا على المَجَرّةِ التى تَضُمُّ شَمْسَنا ، والتى عَرفَها العَرَبُ باسمِ " دَرْبِ التبَّانَةِ ". وتُعْرَفُ فى اللّغات الأوروبيّة باسم " الطّريقِ اللَّبَنِيّ Via Lactea "(المعجم الكبير ، مجمع اللغة العربية(٢٠٠٠) ٤: ٢٢٤)

ومن حيث التعدد والأنواع فإنّ المجرات أنواع وألوان لا تحصى ولا تعدّ ، لكن ما ورد في الشعر والأدب هو« مجرتنا المسماة بالطريق اللبني و التي يتبع لها نظامنا الشمسي فهي مؤلفة من مائة مليار نجم تقريبا منها الشمس ، و هي نجم متوسط الحجم ، و بعض النجوم تكبر الشمس بعشرات أو مئات المرات»(شريف ، عدنان ، ، ٢٠٠١: ٤٦)

المجرة في الشعر خلال الصور والمعاني

وإذا ابتعدنا قليلا إلى خارج نطاق النجوم الذي تقع فيه الأبراج والمجموعات النجمية ؛ فسيخطر على بالنا مجرتنا التي تكتنف كل ما نراه من نجوم والتي يظهر لنا مستواها عندما تكون السماء صافية ليلاً كنطاق أبيض على شكل سحابة ممتدة عبر السماء تسمى درب التبانة((باصرة حسن بن محمد(٢٠٠٧): ٣٢)) وهي من الوضوح بحيث لا يمكن أن تلتبس على أحد. وقد استرفدها الشعراء منذ العصر الجاهلي ليخلقوا بها معاني ويبرزوا تلك المعاني في لوحات فنية ويصوّروها في أساليب بديعية ، فقد عمدوا إلى تشبيه الأشياء بها وتشبيهها ببعض الأشياء. وكذلك وصفوا ضياءها واستطالتها و تلألؤ النجوم المحيطة بها ولونها و تراكم نجومها وتشابكها وماسوى ذلك بأوصاف مختلفة نقف عندها باستقراء ما تيسّر لنا من الأبيات الشّعرية فيها و دراسة جمالية استخدامها عند الشعراء الذين عاشوا في الفترة المحددة للبحث كمايأتي:

استخدام لون المجرة في الشعر

استعار النابغة الجعدي بياض لون المجرة وسناءه و وضوحه في صورة تشبيهية في قصيدةً مدح فيها النبي ﷺ و شبّه القرآن الكريم في تلألوءه وبياض لونه وصفائه بالمجرة ، ولعلّه استقاه من القرآن الكريم ، فإنّ الله .تعالى جدّه .قد وصف القرآن الكريم بالنور المبين ، في قوله: « وَ أَنزَلنَا إِلَيكُم نُورًا مُّبِينًا(القرآن الكريم ، سورة ، الآية: ١٧٤). وإن لم يكن انتقاء لون المجرة جديداً مبتكراً فى تلك القصيدة إلّا أنّ الشّاعر قد أضفى على دلالة الصفاء والإشراق في التشبيه قيمةً علويةً ساميةً موظفاً براعة التصوير من خلال الصورة التشبيهية بوصفه الكتابَ الذي جاء به النبي ﷺ بأنه نيّر كنهر المجرة الذي يبدو في ظلمة ليالي الصيف متلألئًا ضوّاءً.

تَبِعتُ رَسُولَ اللَهِ إذ جاءَ بالهُدى ... وَيَتلُو كِتاباً كالمَجَرَّةِ نَيّرا

وَجاهَدتُ حَتّى ما أُحِسُّ وَمَن مَعِي ... سُهَيلاً إذا ما لاَحَ ثُمَّتَ غَوَّرا

(ديوان النابغة الجعدي ، ١٩٩٨: ٢٦)

وكان زهيرٌ قد اتخذ في صورة تشبيهية لون المجرة وسيلةً للتعبير عن الطريق الواضح مشبّهاً الطريق الواضح المعبد في وضوحه واستبانته في الليل بالمجرّة.فبهذا قد زاد المعنى وضوحاً وأكسبه تأكيداً لما في التشبيه من قوّة الادّعاء:

عَلى لاحِبٍ مِثلِ المَجَرَّةِ خِلتَهُ إذا ما عَلا نَشزاً مِنَ الأَرضِ مُهرَقُ

منيرٌ هداهُ ليلُهُ كنهاره جميعٌ إذا يعلو الحَزونةَ أفرُقُ

(ديوان زهير بن أبي سلمى(١٩٩٨): ٦٩)

و قد أبدع الشّريف الموسوي في تشبيه المجرة بمُعلَم القميص ، إذ شبّه السّماء بإمرأة جميلةتلبس قميصاً مُعلماً و جعل المجرة مُعلَمَهُ ، والقميص المُعلَم هو ما طُرّزبطراز من غير جنسه يخالف لونَ القميص. فالشاعر.وإن حدّد وجه الشبه باستخدام «مُعلماً»والذي يدلُّ على اللون إلّا أنّه قد أشار ضمنياً إلى شكل المجرة ؛ لأنّ طراز القميص عادةً ما يكون شريطاً حول جيب القميص أو أردانه أو أطرافه ، فبهذا المعنى يلائم شكلَ المجرة في استطالتها ، فيكون الشاعر بهذه الدلالة لم يغفل شكلَ المجرة لأن لفظة المُعلَم في ظلاله ذات دلالة على اللون من جانب وعلى الشكل في طوله من جانب آخر ، وإن كان الشّاعر قد أبرز لونَها .

وترى السّماء كأنّما هيَ لبستْ قميصاً بالمجرةِ مُعْلَما

حاكتْ لها أيدي الدياجي كالزهراتِ مُدَنّراً ومدرهما

(التيفاشي ، ١٩٨٠: ١٤٣)

ومن طريف ما جاء في وصف النجوم والمجرة قولُ إبن قلاقس إذ شبّه النجوم بكأسات الخمربجامع صفاء الزجاجة ونصاعتها ، وشبّه المجرةَ بخمرها. والطرافة .كما سلفت الإشارة. تكمن في تشبيه المجرة بالخمر ، فتكون الصورة البديعية المتمثلة في تشبيه المجرة بالشراب مبتكرة قد أبدع الشّاعرُفيها ؛ لكنّ أكثر ما تداوله الشعراء في تشبيه لون الخمر هو تشبيهه بالشمس و الشعاع والضوء والقبس والشرارة والذهب و الغالبُ في تشبيهها هو مشابهتها بالشمس و إن كان بعضهم قد شبّهها بالنّجم مستمداً لونَها.

وأحسبُ أن أنجُمَها كؤوسٌ تكونُ لها مجرّتُها شرابا

(ديوان إبن قلاقس (١٩٥٠): ١٢)

تشبيه جمال الوجه وإشراقته بقمر المجرة

وفي تشبيه الوجوه بقمر المجرة ، فقد جمع الفرزدق في رائيته التى يناقض فيها جريراً في صورة تشبيهية واحدة عدة دلالات ، إذ وصف فيها آباءَه بقمر المجرة وسراج النهار ، مُستلهماً بياض الضوء وتلألؤه ، فالمماثلة في هذه الصورة التشبيهية في دلالته الشائعة تعبيرٌ عن إشراقة الوجه وجماله أشدَّ ما يكون ، لكنّها قد تحمل دلالةً نفسية تتصل بأخلاقية العربي حيث تكون كنايةً عن كرامة النسب والسّلالة ونقاءهما. «لما كان هذا اللون مرتبطاً عند معظم الشعوب. بما فيهم العرب - بالطُّهر والنّقاء استخدمته

العرب في تعبيرات تدلُّ على ذلك. فقد قالوا: كلام أبيض ، وقالوا : يد بيضاء. واستخدموا البياض للمدح بالكرم ونقاء العرض من العيوب. ولارتباطه بالضوء وبياض النهار استخدموه في تعبيرات تدل على ذلك ، فقد قالوا : كتيبة بيضاء : عليها بياض الحديد»(أحمد مختار عمر(لاتا): ٦٩) وعكس ذلك أنهم كانوا يكنون عن العار بسواد الوجوه.

ولعلّ الفرزدق قد عمد إلى إبراز هذا المعنى حين شبّه آباءه بقمر المجرة ، إذ كان اللون الأبيض رمزاً للنقاء والسلامة من العيوب ، فقد جعل القرآن الكريم البياضَ في وجوه أهل الإيمان والصلاحَ في الدّار الآخرة علامةً لنجاتهم ونجاحهم وجَعَلَ السّواد في وجوه أهل الظلم والضّلال علامةً لبوارهم وشقوتهم. قال اللهُ تعالى جدُّهُ: يَومَ تَبيَضُّ وُجُوهٌ وَ تَسوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسوَدَّت وُجُوهُهُم أَكَفَرتُم بَعدَ إِيمَٰنِكُم فَذُوقُواْ ٱلعَذَابَ بِمَا كُنتُم تَكفُرُونَ.. وَ أَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبيَضَّت وُجُوهُهُم فَفِي رَحمَةِ ٱللَّهِ هُم فِيهَا خَٰلِدُونَ(القرآن الكريم ،سورة آل عمران ، الآية: ١٠٦و ١٠٧)

ولعلّ هذه الرؤية الجمالية المتمثلة في استدعاء قمر المجرة قد تؤدي إلى إضفاء قيمةٍ أخرى على الدلالتين السابقتين في التشبيه الوجوه والأشخاص بقمر المجرة وهي دلالةٌ علويةٌ ساميةٌ ؛ إذ سما الشاعرُ بمنزلة آباءه وساوى بينهم وبين القمر والمجرة . و هناك سؤالٌ يطرح نفسه وهو: هل كان يقصد بهذا التشبيه دورَ الزعامة و الإرشاد والهداية لأبائه كما يستضئ الناس بنور القمر ليلاً ؟وكما كان من عاداتهم تشبيهُ سراة القوم بشهب يُستضاء بها ويُهتدى ؟ فالواقع أنّه لا يبعد أن يكون قد التمس لآباءه هذه الدلالة السّامية المتمثلة في تشبيههم بقمر المجرة وسراج النهار بجامع الهداية بين نورالقمر وضوء الشمس و بين هدايتهم الناس وإرشادهم بالآراء والأفكار.

كَم مِن أَبٍ لي يا جَريرُ كَأَنَّهُ قَمَرُ المَجَرَّةِ أَو سِراجُ نَهارِ

(ديوان الفرزدق ، ١٩٨٤ ، ١: ٣٦٠)

استطالة المجرة وامتدادها

و يقدّم أبوهلال العسكري صورةً جمالية للمجرة في تشبيه مُرسلٍ مقلوبٍ حيثُ شبّه المجرة بسيبٍ مدّته الماشطةُ عند تسريحها الشَّعرَ. والسّيب هنا خصلة الشَّعر ، فالشّاعر في أنسنته الليلَ أضفى عليه بعض الخصائص البشرية و سماتها ، فقد صوّرَ الليلَ وكأنّه إمرأة ذاتُ شَعر طويلٍ ، وخَيّل لها الثريا تاجاًقد توجّت به ، ثمّ شبّه خصلة شَعرالمرأة بالمجرة ،وقد طالت الخصلة وانحدرت من حافة التاج وأطرافه وتدلّت ، و الماشطة تصفّفُها وتسرّحها لتمتد و تسترسل على كتفيها أكثر واكثر. ودلالة هذا كله هي استطالة المجرة وامتدادها وانسيابها. وقد أكسب الشاعر المعنى قوةً باستخدامه فعل" انجرّت " للدّلالة على هيئة المجرة وشكلها وليُلائم تمدُّدَ خصلة الشَّعر. ولا يخفى أنّه أجاد بوصفه البارع في استطالة المجرة وأنسنته الليل و أبدع في تخييل مفرق الليل و التاج وخصلة الشّعر المنسرحة.

قُم بِنا نُذعِرُ الهُمومَ بِكَأسٍ وَالثُرَيّا لِمَفرِقِ اللَيلِ تاجُ
وَقَدِ اِنجَرَّتِ المَجَرَّةُ فيهِ كَسَبيبٍ يَمُدُّهُ نَسّاجُ

(ديوان المعاني للعسكري(١٩٩٤)، ١: ٣٢١)

وفي تشبيه تمثيلي آخريماثل الصورة التشبيهية السالفة إلاّ في بعض جوانبها ، فقد عَمدَ أبو هلالٍ إلى استعارة الذوائب لامتداد المجرة واستطالتها في السّماء ، لكنّه زاد عليها في وصف لونها الأبيض المشوب بكدرة الأمكنة الخالية بين النجوم ، إذ وصف لونها وهيئتها بجلد الحية الرقطاء. فجمع بين الصورتين ذات دلالتين إذ تخيّل المجرة فكأنّها إمرأة طويلة الذوائب ، وهذه الذوائب في تمدُّدها وانجرارها تشبه الماءَ في انسيابه وجريانه على الأرض ، وكذلك شبّهها في تمددها وانسيابيتها بحركة الحية على الأرض ، إذ شبّهها بالأيم أي بالحية الرقطاء ينساب على الأرض ، لكنّ الشّاعر لم يغفل شكل المجرة وإن ركزعلى تخييل انسيابية المجرة باستخدامه للفظتي " ينساح وينساب" ، لأنّ الرقطاء وهي حيةٌ ذات لون مؤلَّفٍ من بياض وسوادٍ ، تكسب التصوير البعد الشكلي و اللوني. فانتقاء الرقطاء لتصوير المجرة وهي ذات لونين يعطي دلالته البصرية اللونية ؛ لأنّ لون المجرة ومَظهرها المؤلّفان من بياض أضواء النجوم ومن الكدرة المترائية للبقع الخالية من النجوم فيما بينها يحاكي جلد الحية الأرقم وهي حية طويلة ذات لونين في ظهرها وبياضٍ في بطنها. فالتشبيه موفق قد انبثق من صورٍ عدةٍ و كذلك الوجه منتزعٌ من متعدد.

تبدو المجرّة منجرٌّ ذوائبُها كالماءِ ينساح أو كالأيم ينسابُ

وزهرةٍ بإزاء البدرِ واقفةٍ كأنه غرض ينحوه نشّابُ

(المصدر السابق ، ١: ٣٣٩)

وقدشبّه ابن طباطبا المجرة بساقيةٍ انسابَ ماءها مترقرقاً متلألأً في جريانه وشبّه قبّة السماء ببُرد أزرق شقته المجرة نصفين وتوسطتهما و وصف ظلمةَ الليل كانّها ملبس إمرأة ثكول قد شققت جيبها:

مجرَّةٌ كالماءِ إذا ترقرقا

شقتْ بها الظلماءُ بُرداً أزرقا

لباسُ ثكلى وشيها المشققا

(ديوان إبن طباطبا ، ٢٠٠٢ ، ٣: ١٨٢)

تشبيه المجرة بنهر مآء

فقد اتخذ الشعراء منذ العصر الجاهلي المجرة رافداً يستلهمونه. فكانوا يشبّهون ويصفون امتدادها و تلألؤ النجوم المحيطة بها ولونها و ما إلى ذلک بأوصاف مختلفة. وأمّا ما شاع من تشبيهاتهم للمجرة عبر العصور المتمادية هو تشبيهها بالماءأوجدول الماء أو ما يتعلق بهما. فقلّما نرى شاعراً تناول المجرة ولم يحم حول وصفها بجدول الماءعلى اختلاف في مراتب التشبيه والاستعارة بإبداع بعض الصور والمعاني البديعة. لكننا نجد التشبيهات والأوصاف فيها قد تطورت مواكبةً أعصُرَ الشعراء متأثرةً بتطورات عقلياتهم و مشاعرهم تجاه حياتهم وبيئاتهم .فقد شبّه إبن المعتز المجرة بنهر ماء في تشبيه قد تعاوره الشعراء من قبل لكنه زاده قوةً ورفع من قدره إذ استحضر من البيئة ما يلائم المجرة في تشبيهها بنهر الماء. فقد شبّه النجوم حولها بالأقحوان و وجهُ المماثلة بينهما هو ملائمة لون أزهار الأقحوان البيضاء ولون النجوم الزهر المحيطة بالمجرة:

وكأنّ المجر جدولُ ماءٍ نور الأقحوانُ من جانبيهِ

(ديوان إبن المعتز(لاتا): ٤٧)

وأخذه ابن حجاج البغدادي فقال من قطعة (إبن ظافر الأزدي (لاتا): ٥٣)

يا صاحبيَّ استيقظا من رقدةٍ تزري على عقلِ اللبيبِ الأكيسِ

هذي المجرةُ والنجومُ كأنها نهرٌ تدفقَ في حديقةِ نرجسِ

وأخذه المهذب بن الزبير وزاد عليه شيئاً من الصناعة إذ وصفها وكأنّها تسقي الرياض ، ولتوكيد مدّعاه في وصف المجرة بالنهر لجأ إلى التورية بأسماء بعض النجوم الواقعة في حوض المجرة ، فأخذ نجمي الحوت والسرطان و هما من الكائنات البحرية في معناهما القريب ، فورّى بهما عن نجمي الحوت والسرطان وزعم أنّه لولم تكن المجرة نهر ماءٍ لَما كان نجما الحوت والسرطان يعومان فيه ، فقال:

وترى المجرةَ في النجومِ كأنها تسقي الرياضَ بجدولٍ ملآنِ

لو لم تكنْ نهراً لما عامت بهِ أبداً نجومُ الحوتِ والسرطانِ

(المصدر السابق:٥٣)

وإبن أفلح العنبسي وهو من شعراء العصر العباسي يشبّه حركة النجوم السّارية في حوض المجرة بعوم المها في مياه الأنهر والبرك والمستنقعات. فقد استعار العوم لجريان النجوم و حركتها في حوض المجرة ، و شبّه النجوم الزُّهر بالمها وهي البقرة الوحشية الأبيض اللون بجامع بياض اللّون في كليهما واستخدم "متغطمطٍ" وهو اسم فاعل من تغطمط من باب تفعلُل ليدلّ بلفظه على هيجان الماء وتمَوُّجه واضطرابه عند جريانه.

والزهرُ تُغمضّ في المجرة عُوَّماً عومَ المها في جدولٍ مُتَغَطمِطِ

(ديوان إبن أفلح العنبسي(٢٠١٧):٧٣)

وفي تشبيه تمثيلي شبّه أبو هلال العسكري المجرة بنهر ماء و جسّد نجومها فكأنّهاظباء تردُ الماء من مشارعه ، و هي تكرع الماءأي تشربه بأفواهها. فنجوم المجرة عندما تطلع واحداً تلو الآخر في مسارها ضمن نطاق المجرة ، فكأنها ظباء يتبع بعضُها البعض عند ورود ها مناهلَ الماء. فقد انتزع الوجه من متعدد إذ التمس الشّاعر فيها التفاصيل ، فجمعها وأبرزها في صورة مبتكرة بديعة تُجلّي المعنى وتقرّبه إلى الذهن. و قد قوّاها وأكسبها جمالاًورونقاً أكثر بتجسيد النجوم و جعلِ الحياة في التصوير باستحضار ما يلائمها ويلائم طبيعتها :

وترى الكواكبَ في المجرَّة شُرَّعاً مثلَ الظِّباء كوارعاً في جدولَ

(ديوان أبي هلال العسكري(لاتا) ٣٣٩)

لله درُّ إبن الطباطبا المتوفق على الشعراء في وصف النجوم بإبداعاته الخلابة. فقد رسمَ في تشبيه تمثيلي رائع لوحةً فنية تدبُّ فيها الحياة ، وتنشط فيها الحيوية ، تُحلّق بخيال المتلقي إلى سوح الطبيعة الخلابة يشاهد فيها مناظر الطبيعة الساحرة فيخالجه إحساس بالجلوس على حافة نهرماء صافٍ يتخلل بساتينَ الورود ، وقد اكتنفته البراعم والأزهار ، و يداعب أذنيه خريرُ المياه الجارية المتململة بين الأعشاب والأوراد ، والمترقرقة بين الأشجار ، وقد صوّر ذلک كلَّه بتشبيهه بريقَ نور المجرة وسطوعَه بترقرق المياه الجارية في نهرٍ اكتنفته براعمُ الورود ، و تشبيهه نجوم المجرة المحيطة بها ببراعم الأزهار ، وقد أجاد فى الوصف و أبدع إذ صوّر لمعان ضوءالجوزاء وكأنّه رجلٌ جالس بجوار ذلک النهر قدأشعل ناراً يروّحها ليُضرمها أو يلوّحُ بصفحة بيضاء يتلألؤ ضوءها:

كَأَنَّ سَنا خَط المَجَرة بِينَها تَرقرق ماءٍ بَينَ نُوّاره جارِ

كَأَنَّ يَد الجَوزاء مِن لَمع تَهز صَفيحاً أَو تشب سَنا نار

(ديوان ابن طباطبا العلوي(٢٠٠٢): ٨٢)

وإبن قلاقس يزهو بإكرام الممدوح له إذ رفعه بعطاياه حتى خُيّل إليه أنّ المجرة نهرٌ له وبنات نعش سُمّاره ، فهذا التشبيه البليغ ذات دلالتين: دلالة سمعية باستخدامه نجوم بنات نعش سمّاراً له ودلالة بصرية بتشبيهه المجرة بنهر و نجومها بالدنانير ، و ليلائم بين عطايا الممدوح ونجوم المجرة ورّى من الدينار بالنجوم والنجمُ من أسماء الدينار ؛ قائلاً إنّ الممدوح قد ملأ كفّه النجوم لأنّه يهب النجوم نجومَ المجرة.

فإذا شِئْت فالمَجَرَّةُ نَهْرٌ لي فيه بنات نعش سُماري

وبِكفّي منَ النجومِ كثيرٌ هُوَ ما قد وَهَبْتَ من دِينار

(ديوان ابن قلاقس(١٩٠٥): ٤٧)

تشبيه نجوم المجرة بفقاقيع طافية على الماء

وفي رؤية جمالية متمثلة في صورة تشبيهية جميلة يصوّر ظافر الحداد صورة فنية رائعة لبقعةٍ من السماء فيها المجرة والثريا وبنات نعش مشبّهاً الليل بقميص حداد بجامع سواد اللون ، و يشبّه نجوم الثريا بطوقٍ(بنيقات) في جيب ذاک القميص. ولعلّه يكون قد أغرب بتصوير نجوم الثريا طوقاً لقميص الحداد لندرة هذا اللون المركب من السواد والبياض لقميص الحداد أو انعدامه. إذ كثيراً ما يكون لون طوق القميص لوناً يخالف اللون الأصلي للقميص ، وهذه المخالفة يندرُ أو يعدم في لون البسة الحداد ؛ لأنّها تكون ذات صبغة واحدة ، فهي تكون باللون الأسود أو الأزرق دون مخالطتها بالألوان الأخرى.

لكنّ هذا التصوير الفنيّ تعبيرٌ يوفي بترسيم الخلاف اللوني بين صورة الليل و نجوم الثريا في إطار واحد متناسق ؛ لأنّ بياض لون نجوم الثريا الزُّهر يخالفُ سواد لون الليل. ومن ناحية أخرى ولملائمة

بين نهر المجرة وحركة نجومِ الليل قد استخدم الشّاعرُ فعل "سبحت" للدلالة على حركة نجوم الثريا نحو المغيب في هذا النهر. وهذه اللوحة الفنية المزدانة بالسواد والبياض و التي رسَمَها الشّاهر بكلمات موحية تصوّر السّماء وكأنّها قميص حداد خيطت لها بنيقات من نجوم الثريا تبقى تتراءى وتزهر فى السماء إلى أن ينبلج بتباشير الصباح التي فيها مَسحةٌ من سواد الليل. فتغدو التباشير وكأنّها رداء عروس قد صُبغت بقعٌ منه بمداد:

كأنَّ نجومَ الليلِ لما تبلجتْ توقدُ جمرٍ في سوادِ رمادِ
حكى فوقَ ممتدِّ المجرةِ شكلها قواقعَ تطفو فوقَ لجة وادِ
وقد سبحتْ فيه الثريا كأنها بنيقاتُ وشى في قميصِ حدادِ
ولاحت بنو نعشٍ كتنقيطِ كاتبٍ بيسراهُ للتعليم أحرفَ صادِ
إلى أنْ بدا ضوءُ الصباحِ كأنهُ رداءُ عروسٍ فيه صبغُ مدادِ

(إبن ظافر الأزدي(لاتا): ٤٢ والنويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب(١٤٢٣هـ)، ١: ٣٣)

طيران نجوم المجرة على نهرها

وقد شبّه بعضُهم الليل المظلم بنسوة من الزّنج بجامع سواد لون الليل وسواد بشرة النساء الزنجيات ، ثمّ شبّه النجوم بقلادات منظومة تحيط بأعناق تلك النساء ، ومن جانب آخر نظَرَ إلى المجرة وشبهها بنهر ماء تحوم النجوم عليه كالطير. وللدلالة على ديمومة هذه الحال واستمرارها وإكسابها قوةً شبّه استقرار النجوم في الجو بحومان الطيرفي الجو مستخدماً وصف "حوَّم" من أصل "حوم" الطائر والذي فيه دلالة السكون والاستقرار؛ لأن حومان الطائر يعني تحليقه في السّماء باسطاً جناحيه دون أن يحركهما. وفي ذلك نوردُ مارواه النويري عن شهاب الدين محمود بن سليمان الحلبي الكاتب إذ قال :

ولاحت نجوم الليل زهراً كأنّها عقود على خود من الزّنج تنظم
محلّقة فى الجوّ تحسب أنها طيور على نهر المجرّة حوّم

(النويري ، ١٠: ٣٣٠)

وفي المجرة أنجمٌ تُسمّى بالنعائم وإنمّا سمّيت نعائم تشبُّهاً بالخشبات التي تكون على البئر ، أو تحت مظلّة الرئية (المرزوقي (١٩٨٠): ١٤٤) وهي ثمانية كواكب ، أربعة في المجرة وهي النّعايم الواردة و تسمى الواردة لأنّها شرعت في المجرة كأنّها تشرب ، وأربعة خارجة من المجرة وهي النّعايم الصّادرة تشبيها بالإبل الصادرة عن شرعة الماء. فاستقاها الشاعرُ وصوّر بها لوحة فنية مستلهمة من االطبيعة يجري فيها نهرُ ماء ترده بعضُ النعائم ويصدر عنه بعض آخر فتتراءى اللوحة الفنية للمجرة تجري فيها الحياة:

كأنَّ بها نهر المجرة منهلٌ له قافل نال الورود ونازل

(التيفاشي(١٩٨٠): ١٥٣)

وإبن سناء الملک يشبه المجرة بمورِدٍ للماء ولكنّه يربأُ بنفسه من أن يرد الماء مهما تطاول عليه العطش إذا ألحَقَ به ورودُه الماءَ مذلّةً أو احتقاراً أو يجعله مديناً لغيره. وهو يبقى يتعطش ولا يتوسل إلى الآخرين ولا يدين لهم. وفي استخدامه المجرة بعظمها وجسامتها دلالة الأنفة و الإباء فإنّه لايرد ماءً يخزيه ويحمله الضيمَ وإن كان منهله بسعة المجرة ، فلا يركع أمام الأطماع المُخزية ولوفُتحت له أبوابٌ المطامع بغزارة نجوم المجرة وجسامتها وأعطي مالا يحصى ولا يعدّ:

وأَظمأُ إن أَبْدَى لي الماءُ مِنَّةً ولو كانَ لي نَهْرُ المجرَّة مَوْرِداً

(ديوان أبن سناء الملک): ١٤٣)

وما أروع هذه الصورة البلاغية التي رسمها الشّاعر بازدحام المها والظباء على نهر المجرة ، إذ استعار للنجوم المها والظباء ، والمها : هي البقرة الوحشية الناصعة البياض ، يشبه لونها لون النجوم في بياضه. وقدحذف الشّاعرُ أداة التشبيه والوجه لتكون الصورة التشبيهية أبلغ وأمعن ، واستعار لبقاء نجو م المجرة وتشابكها تَزاحُمَ المها والظباء على نهرها ، وحذف المسند إليه في (فلا صادرات) تأكيداً منه على بقاء هن على نهر المجرة و ديموميته. ثمَّ ِاستعار ِفعل "لايفنى" لعدم نفاد ماء النهر ليضفي عليه لمسة حياة إما لأنه مصدر حياة الكائنات (وَ جَعَلنَا مِنَ ٱلمَآءِ كُلَّ شَىۡءٍ حَيٍّ ﴿ القرآن الكريم ، سورة الأنبياء: ٣٠﴾ أو ليلائم مع السياق ، التشكيلَ الصوريَ المفعم بالحركة والحيوية ، هذا و من جانب آخر بنى صورة عدم نفاد ماء النهر في جملة إسمية خبرها فعل مضارع دالٍّ على التجدد ، ليلائم بمعني التجدد والاستمرار في الخبر ، جريانَ الماء وانسيابَه وتجدّدَه . فقد شبّه الشاعر بقاء النجوم حول المجرة بتوقف الظباء حول مشارع النهر. مستلهماً في ذلک كلّه مكوناتِ الطبيعة في رسم لوحته الفنية الجميلة ، حيث ازدحمت فيها مها النجوم وظباء الكواكب على مشارع نهر المجرة ، تشرب من ماءها ، فلاهي تروى فتصدر ولا ماء نهر المجرة ينفد:

تأملْ إلى نهر المجرةِ زاحمتْ عليه مهاً من أنجمٍ وظباءِ

فلا صادراتٌ عنه تَرْوَى من الظما ولا هو يَفْنَى من ورود ظماء

(التيفاشي(١٩٨٠): ١٤٣)

وممن شبهوا المجرة بنهر الماءِ ،هوالأمير إبن حيوس. فهو عند وصفه المعركة يؤنسنُ البيارق المرفرفة فى الفضاء ويبثّ فيها من مشاعره حتى تدبُّ فيها حياةٌ وروحٌ. فهي تظنّ وتُحسُّ وتشعر بالظمأ. ففي استعارة مكنية قد شبّه الرايات بالطير وشبّه اهتزازهاواضطرابها في الفضاء بتحريک الطيرلأجنحتهاوتصفيقها ، فتحاكي الراياتُ طيراً ترفرفُ بأجنحتها عند طيرانها لترتفع و تسموَ أكثروأكثر. ولم يقف الشّاعرُ عند هذا الحدِّ في تشكيل الصورة الحسية ؛ بل أضاف عليها لمسةً حيوية أخرى ، بأن جعل قبساً من روح الإنسان يدبُ في جسدها فهي تشعر بالعطش وتُخيّل المجرة منهلَ ماءٍ. فقد وصفَ الشّاعرُ الطيرَ المحلقةَ المستعارة للبيارق ، بالظمأ لتكسو الصورة ظلاً آخر يزيد من قوتها ، لانّ الظامئ العطشان يحاول بأقصى ما لديه من القوة للوصول إلى ما يزيل عطشه. فالبيارق المرفرفة في ارتفاعها

واهتزازها فكانّها طيرٌ عطشى محلقة في السماء ، تسعى للوصول إلى نهر المجرة ، لترتوي من ماءها ويزول عطشُها.

وَمُحَلِّقٍ في الجَوِّ تَحسَبُ أَنَّهُ ظامٍ وَقَد ظَنَّ المَجَرَّةَ مَنهَلا

(ديوان إبن حيوس(١٩٨٤)،٢: ٤٢٩)

تراكم نجوم المجرة

وقدشبّه إبن نباتة السعدي نفسَه بالنجم معرّضاً بالممدوح الذي لم يؤلِهِ عناية جديرة به في سياق التعبير عن استياءه وتبرُّمه من الممدوح ، فلجأ إلى استعارة المجرة لمنطقة سُكناه أو لمحضر الممدوح ، و استعار النجوم لمَن حول الممدوح من الرجال. وقد استعان بتراكم نجوم المجرة وتقاربها والتفافها على البعض للتدليل على كثرة الناس وتزاحم بعضهم للبعض ، مستفيداً من«كم» الخبرية الدالة هنا على الكثرة .

واختارصيغة الأفعُل للأنجم وهذه الصيغة وإن كانت من أوزان القلة ، لكنّ الشّاعر قد نكّرها لتدلَّ على الكثرة والعموم ،إذ إنّ نجوم المجرة التي لاتُرى بالعين المجردة كثيرةٌ يستحيلُ إحصاءُهاو تعدادها. ولعله انتقى هذه الصيغة (أنجُمٍ) إمّا لضرورة الوزن وإمّا قلّص عددَها لتجسيمها والتركيز عليها في حضرة الممدوح وتسليط الضوء عليها:

فقد شبّه نفسه في تشبيه ضمني وكأنّه نجمٌ توارى بين غيره من نجوم المجرة لكثرتها أو لتراكمها. فلا يتراءى ولا يُرى لكنّه موجودٌ بالفعل.

فلولا التفاوتُ بينَ الرجالِ لكانَ المُفَوَّهُ كالأَخْرَسِ
وكم في المَجَرَّةِ من أَنجُمٍ لفرطِ التقاربِ لم تُحْسَسِ

(ديوان ابن نباتة السعدي(١٩٧٧)، ٢: ٢٦٧)

تشبيه نجوم المجرة بفقار الظهر والحباب على الماء

وفي إشارة إلى تمدد المجرة و تراكم نجومها أبدع صردر في تشبيهه نجوم المجرة بفقار الظهر وتشبيه المجرة بنهر ماء تطفو حببُ الماء فوق سطحه.وقد خيَّل الحببَ الطافية على سطح الماء نجوماً للمجرة. وإنّما أجرى المماثلة بين حبب الماء والنجوم لصفاءهما واستدارتهما في رأي العين:

وعلى المجرةِ أنجمٌ نظمتْ مثل الفقارِ نُسِقن في الظهرِ
هذا حبابٌ فوقَ صفحتها طافٍ ، وهذا جدولٌ يجري

(ديوان صردر(٢٠٠٨): ٢١٨)

توظيف المجرة للتعبير عن العلوِ والسُّموّ

وظّف الشعراء المجرةَ للتعبير عن علوّ المكان وسموّ المنزلة وذلک فی مقام المدح والفخر والاعتزاز ، وجُلُّ هذا التوظيف مشوبٌ بالمبالغة والغلوّ. إذ المدح قد يتطلب المبالغة والغلو المدح إذا كان وسيلة للتكسّب و استمالة قلوب الممدوح. فمن الذين بالغوا في وصف ممدوحيهم متخذين الأجرام الفلكية تعبيراً عن ما يختلج في صدورهم ، هو الشاعر المفلق إبن أبي حصينة. فقد جَعَل هلال الأفق طوقاً للأمير

وشهبَ المجرة نطاقاً له ، والنّطاقُ: كلّ ما يشدّ به الوسط ، واعتبر نجوم الفراقد نعالاً له. وإنّما جعل المجرة نطاقاً لممدوحه لأنّها تتراءى بقعةً ممتدّةً في السماء ، فكأنّها نطاقً لها ، وهذا التشبيه يلائم صورة المجرة وشكلها. لكنّ الشّاعرَ في استخدام كلمات "الطوق وانتطق وانتعل " ذات الأصوات المفخمة والشديدة وتكرارها يكون قد اعتمد على إيحاءات الضخامة والفخامة والشدة في تلك الأصوات. فالطاءو هي من الأحرف المفخمة وكذلك حرف القاف وهي شديدة قوية وتكرارهما قد تكسبان المعنى قوة وفخامة وصلابة بإيحاءاتهما . فالقاف يصفها العلايلي بأنها: (للمفاجأة تُحدث صوتا). ويصفها الأرسوزي بأنها : (للمقاومة). وكلا الوصفين يفضيان بها إلى أحاسيس لمسية من القساوة والصلابة والشدة ،(حسن عباس(١٩٩٨): ١٤٤)

فاستخدام هذه الأحرف يزيد من دلالة قوة الممدوح وفخامته ناهيك عن الدلالة العلوية المتمثلة في استخدام الأجرام الفلكية:

وَالبَس هِلالَ الأُفقِ طَوقاً وَانتَطِق شُهُبَ المَجَرَّةِ وَانتَعِل بِالفَرقَدِ

واسحَب عَلى الشِعرى العَبُورِ عَبَرَت عَلى جَسَدِ الإِمامِ الأَمجَدِ

فِيها نَسِيمُ أَبِي الأَئِمَّةِ حَيدَرٍ وَنَسيمُ خَيرِ الأَنبِياءِ مُحَمَّدِ

(ديوان ابن أبي حصينة ، ١٩٩٩: ٢٩٥)

و قد كان طول الذيل رمزاً للترف والغنى وكثرة المال وكانوا يعبّرون عن التبختر و زهو بالنفس والاختيال ، بجرّ الذيل أو الأذيال(إبن منظور(١٩٩٩)، ١١: ٢٦١). فاسترفد إبن أبي حصينه هذا المصطلح ليعبّر به عن عظمة ممدوحه وكبرياءه وترفه ، فخيَّلُ له ثوباً منسوجاً من الفضة الخالصة فضفاضاً ينجرُّ ذيلُه على المجرة. وقد اختار الفضة ثوباً لملائمة لونها ولون النجوم الفضي:

وَمِن خالِصِ العِقيانِ ثَوبٌ لَبِستَهُ تُجَرُّ لَهُ فَوقَ المَجَرَّةِ أَذيالُ

(ديوان ابن أبي حصينة ،: ٢٩٠)

وقد عبّروا عن عراقة النسب و أصالته بكرامة البيت وعلوّه ، وها هو إبن أبي حصينة يَسمُو بقبيلة ممدوحه على المجرة ويضع قواعد بيوتهم على سطحها ، ثمّ يبالغ في وصف البيت إلى أن تسامي دعائمُها " الجبهةَ" التي هي من منازل القمر وتجتازها. فالجبهة في معناها البعيد هي من الأبراج الفلكية ومنازل القمر. وقد اختار لفظة الجبهة ليصور مكانة قومه فوق ما يصوَّر ، لأنّ الجبهة في معناها الفلكي وكذلك في معناها المتمثلة في ذروة البناء وأعاليه إنّما تدلُّ بظلّها على دلالة السموّ والعلوّ بل ذروتهما ناهيك عن دلالة لفظة الجبهة نفسها و التي تؤدي نفس الدلالة ، فكأنّه اختار الجبهة والبرج ليدلّ بهما على غاية السموّ والاعتلاء :

لِيَسمُ بِكَ البَيتُ الكِلابِيُّ إِنَّهُ لَبَيتٌ بِكُم فَوقَ المَجَرَّةِ مَنصُوبُ

رَفِيعُ الذُرى لَم يَضرِبِ العَبدُ وَدَّهُ وَلَكِنَّهُ وَدٌّ مِنَ اللَهِ مَضرُوبُ

وَطالَت فَنالَت جَبهَةَ النَجمِ أُسرَةٌ لَها نَسَبٌ في الصالِحيّينَ مَنسُوبُ

(المصدر السابق: ٢٩١. ٢٩٢)

أمّا الشمس فتتذلّلُ أمام هيبة ممدوح الطغرائي وتترک کبد السّماء و تدنو للمغيب ، فکأنّها بتدليها وجنوحها نحو الغروب تُرغِم خَدَّه على الأرض متذللةً أمام ممدوح الشّاعر ، وعلى عکس من الشمس تتعالى همّة الممدوح ، فتسامي أعالي المجرة وتتطاول عليها حيث تتربّع فوق ما يبدو منها وکأنّها قد اختارته منزلاً لربيعه:

فللشمس إن حاذَتْهُ شرقاً ومغرِباً لهيبتِهِ خَدٌّ على الأرضِ أضرعُ

وترمي به أقصَى المكارمِ هِمَّةٌ لها فوقَ مُستنّ المجرَّةِ مربَعُ

(ديوان الطغرايي(١٩٨٩): ٢٢١)

و مِن أبدع ماقيل في المجرة وأغربه قولُ ابن نباتة السعدي إذ جعلَ المجرة قبراً لممدوحه و خيَّل نجومَ المجرة أفعالاً له. وإذا كانت المجرةُ . وهي مصدر أضواء وأنوار بنجومها المتلألئة ونهرُماءٍ كما يصورونها.قبراً لممدوح الشّاعر ونجومُ المجرة أفعالَه الحسنة ؛ فإنّ ضريحه مفعمٌ بالأنوار والأضواء بل نورٌ وحياة علويةٌ. فقد استعار بياض ألوان النجوم وكثرتهاالأفعاله ليجسّم أفعاله حسناتٍ متسمةً بالبياض الذى هو كناية عن حسن الفعل وسلامته من العيوب.

إذا كنتَ لم تَشْهَدْ مكارِمَ صاعدٍ وقَصّرَ عن إدْراكِهِنَّ بكَ العُمْرُ

فطَرْفَكَ فارفعْ فالمجَرَّةُ قَبْرُهُ وأفْعالُهُ من حَوْلِها الأنْجُمُ الزُّهْرُ

(ديوان إبن نباتة السعدي(١٩٧٧): ٣٨٨)

ولعل هذا الوصف وتشبيه المجرة بقبر الممدوح وتخييل نجومها أفعالا له متأثرُ بآراء فلاسفة الغرب وبعض شعراءهم حيث يرون أن المجرة مستقَرٌّ للأنفس الناطقة إذ « إنّ قوما من المتكلّمين رأوا في الفلك المسمّى «غلقسياس» أي اللبن وهو المجرّة أنّه منزل ومستقرّ للأنفس الناطقة ، ويقول «أوميرس» الشاعر: إنّك جعلت السماء الطاهرة مسكن الأبدِ للآلهة لا تزعزعه الرياح ولا تبلّه الأمطار ولا تتلفه الثلوج بل فيه الصّحو البهيّ بلا سحاب يغشاه»(البيروني (١٤٠٣): ١٦٩)

وقد يوظِّف اِبنُ حَيّوس المجرة للتعبير عن استحالة المنى و المتطلّب ، فيدعي أنّ ممدوحه أحلَّ قومَه حيث لا يرقى إليه طيرٌ وليبرهن على مدّعاه شبّه مقام قوم الممدوح بالمجرة و جعل المجرة روضةً محميةً ذات كلأٍ يُحمى ويُمنع التعرض له. فلايدنو من هذه الروضة ولاينالها أحدٌغير قومه:

أَحلَلتَ قَومَكَ رُتبَةً لا تُرتَقى إِنَّ المَجَرَّةَ رَوضَةٌ لَن تُرتَعا

(ديوان إبن حيّوس(١٩٨٤)، ١: ٣٣٦)

ولعل إبن حيوس لجبلّته وطباعه وأنّه أميرٌ حين أراد أن يمدح حمى قومِهِ بأنّه في غاية المناعة ومنتهى الحصانة والوثاقة يستحيل النيلُ منه ، شبّهه بالمجرة . وهذا الوصف متأثرٌ بطبيعة بيئة الشّاعر ،وتأثّره ببيئته واضحٌ في تشبيه المجرة بالروضة الممنعَّة المحمية لاترعاها أيةُ ماشيةٍ غير مواشي قومه ، وزاد عليه بأنه قال مخطئٌ مَن خيّل النجوم الزاهرة سواماً تسرحها في تلك الروضة. فأراد بهذا أن يعبّر أنَّ النيل من قومه وحماهم ليس سوى توهّم المتوهّمين.

قَد ضَلَّ مَن ظَنَّ المَجَرَّةَ رَوضَةً تُرعى وَزاهِرَةَ النُجومِ سَواما

(المصدر السابق ٢: ٥٩٠)

وقد بالغ الباخرزي في وصف إسطبل مراكب ممدوحه إذ ادّعى أنّ بناه و أبوابه أرفع من إيوان كسرى ، و لاعتناء بمراكب الممدوح وحراستها لجأ إلى استعارة مكنية استعار فيها الأنجمَ الزهر لساسة المراكب ومروّضيها.و بنى صورته التشبيهية على حذف المشبّه به وهو الحراس وذِكرِ بعضِ لوازمه " سواساً ومواظبة". وإنّما حذف المشبه به (الحراس) للتركيز على المشبه(الأنجم الزهر) و تسليط الأضواء عليه ، و لعلّه جعل الأنجم سواساً ومواظِبةً لمراكب الممدوح متأثراً بمعتقدهم بتأثر بعض النجوم في الحياة . ناهيک عن إكساب التصوير بعداً علوياً ، ثمّ قدّم تشبيهاً ضمنياً حيث شبّه المجرة بالعصيف وهو القِطَعُ الدقيقة المهشمة من التبن ، معتمداً على التناص واستحضارمعتقدٍ قديمٍ للعرب ؛ حيث كانوا يشبّهون المجرة بالأتبان المنتشرة على طريق حملها إلى منازلهم بجامع البياض في كليهما. فالشّاعر يدّعي أنّ إسطبل مراكب ممدوحه أعلى وأرفع بنياناً من إيوان كسرى ، بل هو يسمو به فوق المجرة ليعلوها في حين يشبّه نجوم المجرة بالأتبان الملقاة المنتشرة على الطريق مستمداً بلونها في خلق التصوير.

أبوابُ اسطبلِهِ إذا قسْتَ أرفعُ مِن إيوانِ كسرى وأعَلى منهُ بُنيانا
والأنجمُ الزُّهرُ سُوَاسٌ مُواظبةٌ على مَراكبِهِ سِراً وإعلانا
حقّاً أقولُ فلَولا ذاك ما نقلت على المجرّةِ طولَ الليلِ أتْبانا

(ديوان الباخرزي(١٩٩٤): ١٨٣)

وللتعبير عن رفعة المقام استخدم الفرزدق وضعَ سُلَّم البيت على ركن المجرة:

رَفَعنا لَهُ حَتّى جَرى النَجمُ دونَهُ وَحَلَّ عَلى رُكنِ المَجَرَّةِ سُلَّما

(ديوان الفرزدق(١٩٨٤)، ٢: ٣٢٢)

وأمّا إبراهيم بن هرمة فإنّه يبرز في سوح الحياة كلّها مقارناً الشمسَ والبدر في المجرة متحدياً إياهما إذا منع الخمولُ غيرَه من الظهورو البروز :

إذا خَفِيَ القَومُ اللئامُ رأَيتَني مُقارِنَ شَمسٍ في المَجَرَّةِ أَو بَدرِ

(شعر ابراهيم بن هرمة(لاتا): ١٣٣)

وقدرُ نظام الملك ممدوح الصاحب بن عباد ومنزلته أعلى من مجرى المجرة و أرفع . وقد قيّد الصاحبُ المجرة بمجراها وقال: "أرفع من مجرى المجرة" ولم يقل أرفع من المجرة مطلقاً ليناسب الشطر الأوّل من البيت حيث ذكر فيه القطر والسحاب:

نوالك من قطرالسّحائب أنفع وقدرك من مجرى المجرة أرفع

(الباخرزي (١٤١٤هـ)١: ٢٠٨)

و نجد الشاعر العراقي أبا عبد الله الحسين بن شبيب الطيبي يهنئ المستضيء بأمر الله بالخلافة في قصيدة بالغة الروعة أبدع في وصف رقة النسيم ولطافته وظرافته بتشبيهه بالمازح ، وتشبيه مروره المنبه بالدغدغة ، فقد جسّده فكأنّه كائنٌ حيٌّ يلملم البراعم والأزهار التي يمرُّ بها ويدغدغها برفق ولطف ، فأحسن أيّما إحسان في استعارة الدمع السافح لقطرات المطر وتجسيدها قائلاً:

بكر الغمام لها بدمع سافح طرباً إلى نغم الحمام الصّادح

وتنّبهَ النّوّار في جَنباتها سحراً لدغدغة النسيم المازح

(المصدر السابق ، ١: ٢٠٨)

ثم يدعو بني العباس للافتخار بمكانتهم الرفيعة ويدّعي أن بيتهم يربو على السماك الرامح ، ولعلّه ذكر السماك الرّامح ليكون أقوى في دلالة على قدرتهم وسلطتهم :

فخراً ، بنى العبّاس ، إنَّ لبيتكم شَرَفاً يُنيفُ على السّماك الرامح

(نفسه: ١٩١)

و قد أبدع في استخدامه التورية في العُواء والنابح في معناهما القريب وهو الكلب وصوته ومعناهما البعيد وهو نجم العواء فقد شبّه فضل ممدوحيه بالمجرة التي تفوق نجم العواءَ في حين شبّه جاحديهم . من ناحية . بالعواء التي نوؤها ليلة وليس من الأنواء المسعودة وشبّههم بالكلاب العاوية من ناحية أخرى. وهذا استحضار للمَثَل المعروف الذي يضرب لمن يَنَالُ من إنسانٍ بما لا يضره وهو« لاَ يَضُرُّ السَّحابَ نُبَاحُ الكِلاَبِ» مجمع الأمثال (الميداني(لاتا)٢: ٢١٥)

ماذا يقول الجاحدون لفضلكم؟ علت المجرَّةُ عن عُواء النّابح!

(عماد الدين ، الإصبهاني (لاتا)جـ١: ١٩١.١٩٢)

توظيف المجرة في مقام الحكمة والحجاج

وعبد الله بن أبي الحوساء وهو شاعر من الخوارج لم ينحُ منحى باقي الشعراء في توظيف المجرة للتدليل على سموّ المقام أو تلألوء النور و بياض الضياء بل استخدمها في الإجابة على تهديده بالقتل من قِبل السلطة آنذاك ، مستخدماً التذكير بسريان النُظُم الكونية لبعض الأجرام السماوية كالمجرة على نظامها المقدَّر لها حيث إنّ الأمور تجري بأمر الله على المقدار ، ولعله أخذه من معنى كلمة " بحسبان" القرآنية في الآية الشريفة:﴿ اَلشَّمْسُ وَ اَلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (القرآن الكريم ، الرحمن:٥)

إن أُبالي إذا أَرواحُنا قُبِضَت ماذا فَعَلتُم بِأَوصالٍ وَأَبشارِ

تَجري المَجَرَّةُ وَالنَسرانِ عَن قَدَرٍ وَالشَمسُ وَالقَمَرُ السّاري بِمِقدارِ

(إبن الأثير (١٩٩٧) ٣: ١٠).

الخاتمة والاستنتاج

جاء توظيف المجرة في الشعر الجاهلي في أغراض كالوصف وخاصة النقلي التقريري وكذلك للتدليل على الوقت والزمن ووظفها المخضرمون و شعراء عصرصدر الإسلام .بالإضافة على ما سبق .في المدح والفخر و للدلالة على البُعدوامتناع الوصول .

وفي العصر الأموي و الأعصُر التالية له زاد الشّعراءُ على الأغراض السابقة ، و أدخلوا فيها معاني جديدة وفتحوا لها آفاقاً جديدة ، في حين لم يَدَعوا جانباً ما كانت عليها من الأغراض والمعاني ، فوظفوها. بالإضافة على الأغراض السابقة .في التغزل والحكمة و في دلالة على الديمومة والبقاء في موضع الدعاء وللتعبير عن التأبّي والمنَعَة ؛ لكنّ النصيب الأوفر في توظيفها كان للمديح.

ومن الجانب الفني فقد طوّرالشّعراءُ الصور الملهَمة بها بعد ما كانت صوراً بسيطة مستمدة من لونهاخاصة. فقد تطورت المعاني والصور المستلهمةبها مواكبةً للتطورات الاجتماعية متزامنةً مع اتّساع رقعة عقلية الشعراء حيث شبّهوها بمُعلَم القميص ووَشيُه وكذلك شبّهوها بالشَّعر المنسدل على الكتف ، و شبّهوها بالشراب والنهر المكتنف بالأزهار والرياحين ،وفقار الظهر ، ورسموا بها صوراً تدبّ فيها الحياة كتشبيهها بنهر ترده المها وتعوم فيها وتصدر عنها ،أونهرٍ تحلق الطيور فوقه ، واستخدموا بعض الأمثال المضروبة بها والخرافات الرائجة بين النّاس فيها ، وذلک لتوليد المعاني الجديدة وخلق الصور البديعة كما مرّت أمثلتها في صلب البحث.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

إبن مقبل ، الديوان (١٩٩٥) ، تحقيق: عزة حسن: ٦٤ بيروت دار الشرق العربي

إبن أبي حصينة ، الديوان(١٩٩٩)سمعه وشرحه: أبوالعلاء المعري ، تحقيق: محمد أسعد طلس ، بيروت دارصادر.

إبن الأثير ، الكامل في التاريخ(١٩٩٧) ، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى.

إبن الأنباري محمد بن قاسم ، شرح المفضليات(١٩٣٠)تحقيق: كارلوس يعقوب لايل ، بيروت.

ابن الرومي ،الديوان(٢٠٠٢م)شرح: أحمد حسن بسج ،ج٢ ، بيروت ،دارالكتب العلمية ،الطبعة الثالثة.

ابن المعتز ، الديوان ،(٢٠٠٤م) ، شرحه مجيد طراد ، بيروت ، دار الكتاب العربي.

إبن النبيه كمال الدين ، الديوان(١٢٩٩) بيروت ، مطبعة ثمرات الفنون.

إبن حيوس ، الديوان(لاتا) مخطوطة ، متابخانه ملي ايران.

إبن سناء الملک ، الديوان (١٩٦٩) ، تحقيق: محمد إبراهيم نصرو محمد الأخضر ، المغرب ، دارالبيضاء ، الطبعة الأولى.

ابن طباطبا العلوي الإصبهاني ،محمد بن أحمد(٢٠٠٢م)تحقيق:شريف علاونة ،الأردن ،دار المناهج.

إبن ظافر الأزدي ،غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات ،(لاتا)، تحقيق: محمد زغلول سلام . مصطفى الصاوي الجويني ، القاهرة ، دارالمعارف.
إبن فارس ، مقاييس اللغة(١٩٧٩) تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر.
إبن معصوم المدني ، الطراز الأول(لاتا) ،مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
ابن منظور محمد بن مكرم (١٢٩٨ ه)، نثار الأزهار في الليل والنهار)، قسطنطينية ،مطبعة الجوائب ، الطبعة: الأولى.
ابن منظور ،لسان العرب(١٩٩٩م)، تصحيح: أمين محمد عبدالوهاب ومحمد الصادق العبيدي ،بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، الطبعة الثالثة.
ابن نباتة السعدي ،الديوان(١٩٧٧) دراسة وتحقيق:عبدالأمير مهدي حبيب الطائي ،منشورات وزارة الإعلام العراقية.
أبو هلال العسكري ، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء(١٩٩٦)، تحقيق: عزة حسن ، دمشق ، دار طلاس ، الطبعة الثانية.
أبوهلال العسكري ، ديوان المعاني(١٩٩٤م) شرحه وضبطه: أحمد بسج ، بيروت ، دارالكتب العلمية ،الطبعة الأولى.
إحسان عباس ، شعر الخوارج(١٩٧٤) بيروت ، دار الثقافة.
أحمد رضا ، معجم متن اللغة ،موسوعة لغوية حديثة(١٩٥٨) بيروت ،دار مكتبة الحياة.
أحمد مختار عمر ، اللغة واللوم (لاتا) ،القاهرة ،عالم الكتب.
الأصبهاني المديني أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد ، (٥٨١ه)المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث(١٩٨٨) تحقق: عبد الكريم العزباوي ،المملكة العربية السعودية ، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع ، الطبعة: الأولى.
المدني أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد ،اللطائف من دقائق المعارف في علوم الحفاظ الأعارف(١٤٢٠ ه)تحقيق: أبو عبد الله محمد علي سمك ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى
الأمير أبي العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله ،الديوان أشعار(لاتا)، دراسة وتحقيق: محمد بديع شريف ، مصر دار المعارف
الباخرزي ، علي بن الحسن حياته وشعره وديوانه(١٩٩٣)، تأليف وتحقيق: محمد التونجي ، بيروت ، دار صادر
باصرة حسن بن محمد الاستدلال بالنجوم (٢٠٠٧)، الرياض ، مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية.
بديع الزمان الهمذاني ، الديوان (٢٠٠٢)، دراسة وتحقيق: يسرى عبد الغني عبدالله ، بيروت ، دارالكتب العلمية
بشار بن برد ، الديوان (٢٠٠٧)، ج ١ ، جمعه وشرحه وكمله وعلق عليه: محمد الطاهر بن عاشور ، الجزائر ، وزارة الثقافة
البيروني ،تحقبق ما للهند(١٤٩٣ه) ،بيروت ، عالم الكتب ، الطبعة الثانية.
التيفاشي أحمدبن يوسف ،سرور النفس بمدارک الحواس الخمس(١٩٨٠م) هذّبه محمد بن جلال الدين المكرّم(ابن منظور)، تحقيق: إحسان عباس ،بيروت ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، الطبعة الأولى.
جران العود النميري ، الديوان(١٩٨٢) تحقيق وتذييل: نوري حمودي القبسي ، العراق ، دار الرشيد للنشر
حسن عباس ، خصائص الحروف العربية ومعانيها(١٩٩٨)، دمشق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،
ديوان إبن أفلح العبسي(٢٠١٧)، عني بجمعه وتحقيقه: إبراهيم صالح ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة
الزمخشري ، أساس البلاغة(١٩٢٦) تحقيق: محمد باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية ، بيروت — لبنان ،الطبعة: الأولى.
زهير بن أبي سلمى ،الديوان (١٩٩٨)، شرحه وقدّم له : علي حسن فاعور ، بيروت ، دارالكتب العلمية ، الطبعة الأولى
السري الرفاء ، الديوان (١٩٩٦)، تقديم وشرح :كرم البستاني ،بيروت ، دار صادر ، الطبعة الأولى
السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر ، جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها(١٩٩٨م) تحقيق: فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،الطبعة الأولى.

شرح ديوان الفرزدق(١٩٨٣م) ضبط معانيه وشروحه وأكملها: إيليا الحاوي ،بيروت ، دارالكتاب اللبناني.
الشريف الرضي ، الديوان (١٩٩٩) ، تحقيق: محمود مصطفى حلاوى ، بيروت ، دار أرقم
الشريف الرضي ، الديوان(١٩٩٩) تحقيق: محمود مصطفى حلاوي ،دار الأرقم ، الطبعة الأولى.
شريف ، عدنان ، من علم الفلك القرآني ،١ ، (٢٠٠١) ، دار العلم للملايين ، بيروت — لبنان.
شعر عروة بن أذينة (١٩٨١) ، تحقيق: يحيى الجبوري ، الكويت ، دار القلم ، الطبعة الثالثة
شعرإبراهيم بن هرمة القرشي ،(لاتا) ، تحقيق: محمد نفاع وحسين عطوان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
الصاحب بن عبّاد ، الديوان (١٩٩٥) ، تحقيق: محمد آل ياسين ، بغداد ، مطبعة المعارف ، الطبعة الأولى
الصعيدي ، الإفصاح في فقه اللغة(١٤١٠) ، قم ، مكتب الإهلام الإسلامي ، الطبغة الرابعة.
العسكري أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران ،الديوان(لاتا) دار الفكر ، بيروت
عماد الدين الكاتب ، خريدة القصر وجريدة العصر (١٩٨٦) حققه وضبطه وشرحه وكتب مقدماته: محمد بهجة الأثري وآخرون ، مطبعة المجمع العلمي العراقي.
فتيان الشاغوري ، الديوان (لاتا) ، تحقيق: أحمد الجندي ، دمشق ، مطبوعات مجمع اللغة العربية.
الفرح محمد حسين(٢٠٠٤) شعر وشعراء اليمن ، صنعاء إصدارات وزارة الثقافة والسياحة
لآبى أبو سعد منصور بن الحسين الرازي ، نثر الدر في المحاضرات (٢٠٠٤م)تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ ، بيروت ،دار الكتب العلمية ،الطبعة: الأولى.
المرزوقي ، الأزمنة والأمكنة(١٩٩٦م) ،ضبطه: خليل المنصور ،بيروت ،دارالكتب العلمية.
المعجم الكبير ، مجمع اللغة العربية(٢٠٠٠) ، ٤: ٢٢٤) القاهرة ، الطبعة الأولى
مهيار الديلمي ، الديوان (١٩٢٥) القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، الطبعة الأولى.
الميداني ، مجمع الأمثال(لاتا) ،تحقيق: محمد محيى الدين عبدالحميد ، بيروت ، دار المعرفة.
النابغة الجعدي ، الديوان(١٩٩٨) ، تحقيق: واضح الصمد ، بيروت ، دار الصادر ، الطبعة الأولى.
ناصح الدين الأرجاني ، الديوان (١٩٧٩) ،تحقيق محمد قاسم مصطفى ،العراق ، دار الرشيد للنشر.
النويري ، نهاية الإرب ،٢٠٠٤م ، المجلّد الأوّل ،تحقيق: مفيد قميحة ، بيروت ، دارالكتب العلمية ، الطبعة الأولى.
النويري ، نهاية الإرب ،٢٠٠٤م ، المجلّد العاشر ،تحقيق: يوسف الطويل ، بيروت ، دارالكتب العلمية ، الطبعة الأولى

COPYRIGHTS

© 2023 by the authors. Licensee Islamic Azad University Jiroft Branch. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

الاستشهاد إلى: كرمى احمد ، ميرزائي الحسيني سيدمحمود ، نظرى على ، جماليات توظيف المجرة في الشعر العربي القديم حتى نهاية العصر العباسي ، دراسات الأدب المعاصر ، السنة ١٥ ، العدد ٥٧ ، ربيع ١٤٤٤ ، الصفحات ٣٧-١٣.